الانتظار

بين الاصالة والسلبية

اسم الكتاب: الانتظار بين الأصالة والسلبية
المؤلف: السيد عبدالرحيم الموسوي
الموضوع: كلام
الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)
الطبعة: الاولى
التاريخ: ١٤٢٥ هـ
المطبعة: ليلى
الكمية: ٣٠٠٠
ISBN: 964-8686- -
حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي
www.ahl-ul-bayt.org

كلمة المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)

إنّ تراث أهل البيت(عليهم السلام) الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبّر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربّي النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين، وتقدّم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتذين لخُطى أهل البيت(عليهم السلام)الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام) ـ منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه ـ للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضبّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت(عليهم السلام) وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر.

إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت(عليهم السلام)في هذا المضمار فريدة في نوعها ; لأنها ذات رصيد علمي يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام) ان يقدم لطلاّب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة في باب الحوار والسؤال والرد على الشبهات ـ التي أثيرت في عصور سابقة أو تثار اليوم ولا سيّما بدعم من بعض الدوائر الحاقدة على الإسلام والمسلمين من خلال شبكات الانترنيت وغيرها ـ متجنّبة الإثارات المذمومة وحريصة على استثارة العقول المفكرة والنفوس الطالبة للحق، لتنفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر يتكامل فيه العقول ويتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

ولابدّ أن نشير الى أن هذه المجموعة من البحوث قد أُعدت في لجنة خاصة من مجموعة من الأفاضل . ونتقدم بالشكر الجزيل لكل هؤلاء ولأصحاب الفضل والتحقيق لمراجعة كلّ منهم جملة من هذه البحوث وابداء ملاحظاتهم القيّمة عنها.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)

المعاونية الثقافية ـ قم المقدسة

الانتظار بين الأصالة والسّلبية

المقدمة

الأمة الإسلامية منحت القيمومة على الأمم الأخرى وقد اتسم خطابها بالخلود حيث لا يستنفذ غرضه بزمان دون آخر.

والغرض الإلهي من خلق الإنسان لا يتخلف، وقد اتصف بالحتمية وضرورة التحقق الذي يتوّج بانتصار أمة الإسلام وبرسالته آخر الزمان.

ولما كان من الثابت أن الإمامة بعد النبوة لا تتعرض للانقطاع أو للفترة فينبغي أن يكون ثمة إمام حيّ، وهو لدينا الإمام المهدي ابن الحسن العسكري(عليه السلام)، المنتظر المبشّر به .

في مرحلة الغيبة الكبرى سترتقي الأمة الى أعلى مسؤوليات الانتظار، لأن الغرض من الغيبة، أو قل أحد أغراضها قبول البشرية عدالة الإسلام التي يأتي بها الإمام، وقد حُمّلت الأمة قبل حين مسؤوليات هذا الانتظار بغية أن تمارس فيه مبادئها ومسؤولياتها بصبغة عبادية وبوعي صبور ، لأن الانتظار لا يمثل حالة اجتماعية شأنها شأن الظواهر الاجتماعية التي ينتجها عمل الإنسان الذي يتحرك بحدود المباح أو المستحب، وإنّما الانتظار جزء من التخطيط الإلهي، مرتبط بعملية العبادة التي خلق الإنسان من أجلها فالأمة وفق هذا التصوير تعيش مرحلة من أعقد مراحل الوعي الإنساني، وبذا سوف تتعرض الى أشد ألوان الابتلاء، كل ذلك لأجل الارتقاء بها الى مستوى التطبيق الذي نادت به الرسالة على المستوى النظري الذي تتولاه الأمة وتعمل بموجبه برعاية قائدها المعصوم المهدي المنتظر(عليه السلام).

وتبعاً للتعدد المذهبي والفكري الذي تعرضت له الأمة بعد الرسول واستمر حتى بلغ هذه الفترة من حياتها، تعددت المواقف إزاء مسألة تحكيم الإسلام وإمكانية إدارة الدولة والتفاعل مع الانتظار الذي ندبت إليه الشريعة.

وفي بحثنا هذا سيتم تقسيم تلك المواقف الى ثلاث اتجاهات، لننتهي بالاتجاه السليم الذي يبني المفاهيم التي تنسجم مع الرسالة ومع المنظومة العقائدية الداعية للانتظار الواعي الذي يؤمّن للأمة الارتباط بالمخطط الإلهي ويضعها وفق مفردات إسلامية وبرنامج متكامل.

ولأجل إيضاح الموقف الصحيح بتفصيلاته والملابسات التي أحاطت به على أمل الوصول الى معناه الواعي، تضمّن البحث الذي بين أيدينا ـ الانتظار ـ عدداً من الفقرات، كان أولها: استمرارية الانتظار، تلازم استمرارية الرسالة، وثانيها: المراحل التاريخية التي مرّ بها الانتظار حيث تمثل الغيبة الكبرى أعلى مراتبه، وثالثها: القاعدة العبادية لمفهوم

الانتظار، ورابعها: انتظار الأمة ومسؤولياتها في فترة الغيبة الكبرى، الذي تضمن الاتجاه المراد إثباته وإليك التفصيل.

أولاً: استمرارية الانتظار تلازم استمرارية الرسالة

مما لا شك فيه أن الرسالة الإسلامية عالمية في خطابها، ولا تختص بزمان محدد ليستنفذ غرضها بحدوده، كما لا تختص بأمة دون أخرى، لذا جاء خطاب القرآن للناس كافة مرة وللذين آمنوا أخرى، ولم يقصد بالناس فئة معينة منهم كما لا يقصد بالذين آمنوا حين يقول: (**يا أيها الذين آمنوا**) المؤمنين من أمة العرب أو غيرهم، وإنّما المؤمن من كل أمة وفي كل زمان، وهكذا الناس.

والدين الإسلامي حسب المنطق القرآني له القيمومة على الأديان كلها: (**إن الدين عند الله الإسلام**) وكذلك أمته خير الأمم (**كنتم خير أمة أخرجت للناس...**)[1](**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس**)[2].

وجاءت القيمومة لها دون غيرها لأنها لا تستمد طاقتها وحيويتها ودوامها وتماسكها من الظروف أو التاريخ أو المال أو السلطة، وإنما من صلتها بالجانب الغيبي ـ الوحي ـ المتجسد منطقه في القرآن، بالإضافة الى عنصر العصمة المتمثل في النبوة والإمامة الممتدة بعد النبوة، ولذا فالأمة الإسلامية أمة باقية باعتبار هذه العلقة، التي تمدها بالقدرة على العودة والتشكل وعدم الانهيار أو السقوط الذي تتعرض له الحضارات والأمم الأخرى كالتي طالها الفناء والدمار، فهذا الارتباط والصلة هو السرّ الذي يمنح الأمة هذه القدرة والقيمومة.

وعنصر الخلافة الامتدادي المدعوم من الوحي المتمثل بالأئمة المعصومين بعد النبي(صلى الله عليه وآله) وان كان في أحد مراحله يستوجب الاستتار وممارسة دور المسؤولية وتوجيه الأمة وتفادي انحرافها وترشيدها الى حيث الاستقامة، إلاّ أن المسؤولية فيها من الظاهر الاجتماعي تقع على عاتق الفقهاء الملتزمين بخط العصمة.

إذن فالأمة الإسلامية فيها ما يساعدها على البقاء والقدرة على النمو.

وجاءت الرسالة الإسلامية لهداية الناس كافة (**وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين**)[3] وهذا الغرض الإلهي يتضمن الأبدية في التحقق وعدم تخلف إرادة الله سبحانه عن هذا الغرض، من هنا فقد أرسل الله الرسل بأعداد كافية، كل ذلك من أجل أن تهتدي البشرية الى حيث سعادتها حتى تكللت جهودهم(عليهم السلام)أخيراً بارسال خاتمهم النبي محمد(صلى الله عليه وآله)

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) الأنبياء: ١٠٧ .

لينتصر لرسالاتهم ويوضح في رسالته الأهداف التي بعثوا من أجلها ويزيح الغبار والتشويش الذي أصاب دعواتهم التوحيدية ثم يبين عمق المخطط الإلهي المستقبلي الذي يمهد للبشرية ويسهل لها عملية الارتباط به من أجل أداء دورها الربّاني حتى خاتم الأوصياء المهدي بن الحسن العسكري حيث تقترب نحو كمالها في ظل ربوع دولته المباركة.

ولما قلنا في مطلع البحث أن الرسالة الإسلامية عالمية فيأتي الخطاب القرآني الذي نزل به الوحي على صدر النبي(صلى الله عليه وآله) الحامل في طياته تجارب الماضين ومعاناة النبيين(عليهم السلام) مع أقوامهم ليجعلها بين يدي أمة الإسلام لتكون زاداً في التبليغ، فخطابه قد تمتع بالعمومية والشمول ليكون حاكماً على مسيرة الأمة ومصححاً لها الى يوم القيامة.

من هنا تناول الفقهاء الإسلاميون مسألة الحجية في الخطاب القرآني أو السنّة هل هي مختصة بالأمة التي عاصرت النبي(صلى الله عليه وآله)، أم تمتد الى الأجيال اللاحقة؟ فقالوا تحت عنوان الاشتراك في الحكم: إذا ثبت حكم لواحد من المكلفين أو لطائفة منهم زمن الرسالة، ولم يكن هناك ما يدل على مدخلية خصوصية لا تنطبق إلاّ على شخص خاص أو طائفة خاصة أو زمان حضور الإمام، فالحكم مشترك بين جميع المكلفين رجالاً ونساءً الى يوم القيامة، سواء كان ثبوته بخطاب لفظي أو دليل لبّي من إجماع أو غيره(٤).

إذن فالخطاب شامل وبه يتم استيعاب حركة الإنسان مهما اختلف زمانها.

ولم يقتصر المخطط الإلهي في حفظه للأمة وخلودها حتى تحقيق الغرض الذي خلقت من أجله، على هذا المقدار وهذا النوع من الخطاب وإنّما رافق هذا العنصر المكتوب عنصر آخر تمثّل بالمعصوم الذي يلاحظ ويرشد مسار الأمة .

وقد وردت أحاديث تؤكد استمرارية خط الإمامة بمقدار استمرار حياة الإنسان في هذا الكوكب، من قبيل: جاء عن الإمام أبي محمد الحسن العسكري عن آبائه(عليهم السلام): «**إنّ الأرض لا تخلوا من حجة لله على خلقه الى يوم القيامة وإن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**»(٥) بلا فرق فيما إذا كانت الحجة ظاهرة للعيان وتمارس دورها المكشوف، أو تمارس دورها في حالة الاستتار عن الأنظار والغيبة عن الأبصار .

ويمكن استفادة وجود الامام المنصوص عليه وحضوره في كل عصر مما ورد عن النبي(صلى الله عليه وآله) في كتب الفريقين: «**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**»(٦).

وفي رواية: «**من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية**»(٧). وفي أخرى: «**من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية**»(٨).

---

(٤) القواعد الفقهية، محمد جواد اللنكراني: ٢٩٥ .

(٥) كفاية الأثر، الخزاز القمي: ٢٩٦.

(٦) كنز العمال ١:٢٠٧ وصحيح ابن حبان ١:٤٣٤، وبحار الأنوار ٢٩:٣٣١، ووسائل الشيعة ٢٠:٢٨٧.

ولا نريد أن ندخل في معنى الإمامة ليكون المقصود منها هو الحاكم السياسي حتى لو كان منحرفاً، فهذا ما لا يعقل أن تريده هذه الأحاديث، حيث عبّرت بـ «الإمام» الذي يراد منه القدوة ولم تعبّر بالحاكم، والسلطان أوالخليفة. كما ترفض الأحاديث أيضاً تعدد الإمام، إذ الخطاب للأمة الإسلامية المتوحدة فلا معنى لتعدد أئمتها.

وبضم طائفة أخرى من الروايات الصادرة عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام) يتأكد أن المقصود بالإمام في هذا العصر هو محمد المهدي(عليه السلام)[٩].

فقد جاء عن الإمام الرضا(عليه السلام) حين سئل: أتكون الأرض ولا إمام فيها؟ فقال (عليه السلام): «**إذن لساخت بأهلها**»[١٠].

وعن الإمام زين العابدين(عليه السلام) أنّه قال: **ونحن أمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وبنا ينشر الرحمة ويخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منا لساخت بأهلها».**[١١]

وعن الإمام: **ما ترك الله عزّ جل الأرض بغير إمام قط ـ منذ قبض آدم** (عليه السلام)**ـ يُهتدى به الى الله عزّ وجل، وهو الحجة على العباد، من تركه ضلّ، ومن لزمه نجا، حقاً على الله عزّ وجل**[١٢] .

ومن خلال الطائفتين من الروايات يمكن القول بأن الإمامة مستمرة والخطاب يشمل الأمة وهي تعيش مرحلة الغيبة الكبرى، فلابد أن يكون فيها إمام لكي يلزم منه وجوب معرفته باعتباره إماماً للعصر.

والأوضح دلالة من ذلك ما جاء في حديث الثقلين، قال(صلى الله عليه وآله): «**إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوابعدي أبداً وإنّهما لن يفترقا حتى يردّا عليّ الحوض**» الذي يلزم منه استمرار العترة مع الكتاب حتى يوم القيامة.

وجاء في شرح صاحب الصواعق لحديث الثقلين: (سمّاهما ثقلين إعظاماً لقدرهما لكل خطير شريف ثقلاً، أو لأن العمل بما أوجب الله من حقوقهما ثقيل جداً، ومن قوله تعالى: (**إنّا سنلقي عليكَ قولاً ثقيلاً**) أي له وزن وقدر لأنه لا يؤدّى إلاّ بتكليف ما يثقل)[١٣] .

---

(٧) مجمع الزوائد ٥:٢٢٥ .

(٨) مسند أحمد ٤:٩٦ .

(٩) ينابيع المودة: ٣٦٠، وبحار الأنوار ٢٣:٦، والكافي ١:١٧٩ .

(١٠) معجم أحاديث المهدي(عج) ٤:١٧٦ .

(١١) بصائر الدرجات: ٤٨٨ و ٤٨٩ والأمالي للشيخ الصدوق: ٢٥٣ .

(١٢) اكمال الدين ١:٢٢٠ .

(١٣) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي: ٢٢٨ و ٢٢٩.

وبهذا يتعين أن يكون الإمام المقصود في زمن الغيبة الكبرى هو الإمام محمد المهدي بن الحسن العسكري طبقاً للنصوص المتظافرة حول عدد وأسماء الأئمة من أهل البيت(عليهم السلام) .

ثانياً: المراحل التاريخية لمفهوم الانتظار

مرّ مفهوم الانتظار عبر التاريخ بأطوار متعددة، وكان السبب فيها يعود الى طبيعة قابليات الإنسانية وقدراتها في مدى استيعاب المفاهيم الإلهية، والتخطيط الذي أراده الله سبحانه للبشرية، واحتياج الرفيع من المفاهيم الى نضج عال من الإيمان والاستعداد للتضحية يؤهلها لهضمه والتفاعل معه بقوة، وهذا ما لا تقدر عليه الإنسانية آنذاك، ولذا فلو تابعنا المسار التربوي البارز الذي مارسه الأنبياء مع الإنسانية وكيفية تبليغهم لِفكرة أن هناك يوماً موعوداً يأتي في المستقبل يسود فيه العدل الإلهي المطلق وتنعم الإنسانية جميعاً بخيراته ويرتفع فيه الظلم والجور لوجدنا لهذا الجهد والنشاط الذي بذله الأنبياء في نسق واحد أصداء مختلفة لازالت بقاياه في التركة الثقافية للحضارات، بل وفي مختلف الأديان السماوية، حيث أشارت بأن هناك مصلحاً يخرج آخر الزمان. لكن الملفت للنظر أن جهدهم اتسم بالإشارات الاجمالية بسبب كون هذا اليوم ليس بقريب في علمهم(عليهم السلام) كما أنه لم يتحقق شيء من مقدماته القريبة، لذا فلم تكن هناك ضرورة ملحة لاعطاء التفصيلات حول هذه الفكرة أكثر من المقدار المجمل، الأمر الذي جعل هذه الفكرة محطة للاختلاف فيما بين المذاهب.

وأما من الناحية العملية فقد كان الانتظار في مرحلة ما قبل الإسلام يلاحظ فيه غياب النشاط العملي لتطبيق فكرة المهدي في حياة الأنبياء انطلاقاً من عدم توفر الأرضية الواقعية المتمثلة بالاستعداد الكامل للتضحية في سبيل العدالة التي تقام على يدي هذا المصلح.

وقد نقل لنا القرآن الكريم مواقف الأمم أزاء رسالات الأنبياء، والذي يكشف لنا المستوى الفكري والإيماني الواطئ الذي يملي هذا اللون من التفاعل مع رسالة التوحيد، الأمر الذي شكّل عائقاً أمام تنفيذ كامل أبعاد الأطروحة الإلهية العادلة في مرحلة ما قبل الإسلام، فالمجتمع الذي عاصره النبي نوح مثلاً اتخذ موقفاً سلبياً أمام رسالته وهذا ما عبر عنه النبي نوح(عليه السلام)نفسه حين قال: (**ربّ إنّي دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي إلاّ فرارا**)[١٤].

أما المجتمع الذي بعث إليه النبي إبراهيم(عليه السلام) فقد رفض رسالته وشارك مختلف شرائحه في جمع الحطب لغرض حرق إبراهيم(عليه السلام)ولم يذكر لنا التاريخ بأن أحد الأفراد قد اعترض هذه العملية ووقف لصالح النبي إبراهيم(عليه السلام)، وهذا دليل على تخاذل الأمة وعدم استيعابها لرسالة التوحيد.

---

(١٤) نوح: ٥ .

وهكذا أمة النبي موسى(عليه السلام) فقد واجهته بالخذلان وغلب عليها موقف (**فاذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا ههنا قاعدون**)[١٥] .

أما أمة النبي عيسى(عليه السلام) وخصوصاً من آمن به وهم الحواريّون فقد شككوا برسالته فقالوا: (**هل يستطيع ربّك أن ينزل علينا مائدة من السماء**)الى أن قال: (**اتقوا الله إن كنتم مؤمنين**) .

فإذا كان الانتظار في عصر ما قبل الإسلام يستمد قوته وأبعاده من خلال مفهوم المصلح، في الوقت نفسه أن المنقذ لم يكن هو النبي هذا أو ذاك، فلابد إذن أن يكون الانتظار مفاهيميّاً أكثر من كونه واقعاً عمليّاً، أي يتركز في حقل الاخبارات المستقبلية، أو له واقع تربوي، من كون المؤمن المنتظِر الذي يعمل في هذا الظرف ومع هذا النبي ويدرك بأن نهاية المعركة بين الحق والباطل ستنتهي لصالحه وهو عضو فيها، فهو إذن يتحرك بأمل وهمة عاليين ويتعالى على الواقع وتتضائل أمامه كل العقبات مهما صعبت، خصوصاً في واقع يريد أن يؤسس لمنهج التوحيد الذي يتكامل بتشريعاته وأحكامه على يدي خاتمهم(عليه السلام) .

وفي فترة بزوغ الحق ومجيء خاتم الأنبياء محمد(صلى الله عليه وآله) اكتسب الانتظار قيمة أُخرى .

منها: أن المسلمين المنتظرين في هذا العصر يعلمون حق اليقين بأن المصلح في آخر الزمان يأتي طبق عقيدتهم فإذا كان نبيّهم آخر الأنبياء وخاتمهم; فالمصلح هو آخر الأوصياء وخاتمهم، ولذا كان نشاط النبي(صلى الله عليه وآله)منصبّاً حول مفردات متعددة كلها تتجه نحو هدف واحد على أن المهدي هو من عترة النبي(صلى الله عليه وآله)ومن ذرية فاطمة(عليها السلام)، كما أنه من ولد الحسين(عليه السلام)، ومنها يُفهم أن القائد المدّخر ليس هو شخص النبي(صلى الله عليه وآله) وإنّما يأتي بعد مرحلته إلاّ أنه من ذريته.

وعليه فإن الانتظار في عصر النبي(صلى الله عليه وآله) كان يقترن باليقين بعدم حدوث يوم الظهور في ذلك الحين، وإنما سيحدث في المستقبل البعيد.

والانتظار هنا يأخذ بعداً كبيراً، إذ يلقي في نفس المسلم بأن عملية التغيير والاصلاح مستمرة ولا تقتصر على الواقع العربي أو ما يحيطه، وإنما هي رسالة تستهدف كل العالم، ثم إن رسالته لم تكن محدودة بعمر النبي(صلى الله عليه وآله) لتنتهي بوفاته وإنّما ستستمر الى آخر الزمان وسيشارك فيها أجيال مختلفة كل حسب دوره ومهمته، ولها أهداف كبرى.

وهذا التصوير لعملية التغيير الشاملة التي ضخها النبي للأمة المسلمة ينقل مفهوم الانتظار الى آفاق بعيدة، حيث ينطلق المسلم بروح عالية وهو رافع لواء الاصلاح

---

(١٥) المائدة: ٢٤ .

والتغييرمن كون المعركة الحالية ليست معركة مؤقتة وطارئة وتتحرك بحدود أهداف معروفة عند العربي مثلاً، وإنّما هي معركة تستهدف الاطاحة بكل أبنية الشرك والضلال وإزالة كل الظلم من على وجه الأرض.

ومبادئ الإسلام السامية التي يعتنقها المسلم هي الكفيلة بازاحة ذلك، فلا دين ولا مفاهيم ولا قيم غيرها .

وبهذا يلقى الانتظار ضمن مرحلته المذكورة زخماً عالياً في نفس المسلم، وتكون انطلاقته وخطواته بل وكل حركته منسجمة مع هذا التخطيط، لأن كل خطوة أو انتصار يكون له مساس وعلاقة مع الخطوات اللاحقة، فلا عبث ولا فوضى في العملية التغييرية الكبرى المستمرة مع الإنسانية التي يقودها المسلمون حتى آخر الزمان .

وبعد وفاة النبي(صلى الله عليه وآله) وانتقال القيادة الإلهية الىوصيّه وخليفته الإمام علي(عليه السلام) حسبما هو ثابت من كون الخلافة لا تتم إلاّ بالوصية من صاحب الرسالة وبأمر من الله سبحانه، يرتقي الانتظار، ثم هناك أخبار أخرى تؤكد بأن الظهور لا يتم إلاّ بعد مرور الأمة بظروف ظالمة وتمحيص عصيب، وهذا ما يترك في نفس المسلم في مرحلة ما بعد النبي(صلى الله عليه وآله) أن المنقذ هو هذا الإمام المعصوم أو الإمام الذي سيليه، لأنه قد حصل يقين بأن شخص المهدي هو من هذه السلسلة لا خارجها.

وطبيعي ان الانتظار في هذه المرحلة يكون كفيلاً بتفسير المظالم الطارئة، ومن ثم العلاقة مع الإمام المعصوم ستكون أكثر انشداداً، وكذا تفسير المظالم التي تصب عليه حين يتعرض للظلم والتضعيف، كل ذلك يدفع بالمسلم أن لا يعتقد بأن رسالته تتحدد بهذا النشاط الذي يبدو من الإمام لتنحصر بالتالي نشاطاته بهذه الدوائر الضيّقة التي تحبس أنشطة الأئمة وتضيق على رسالتهم.

فالانتظار ببعده الإلهي يمد المسلم في عصر الأئمة بالهمة العالية ومواصلة الطريق والتحمل والتضحية من أجل المبادئ، وان رسالته ستنتصر في المستقبل القريب، وبالتحديد يوم ظهور القائم(عليه السلام) . فعليه تتضاءل الصعاب لأن الزمن يجري لصالحه.

وبعد أن دخلت الأمة في عصر الغيبة الصغرى ومن ثم الكبرى انتقل الانتظار الى آخر مراحله الذي يكون الإنسان فيه مستعداً لأن يكون هو بالذات أحد الأفراد المشاركين في تطبيق العدالة حين الظهور، وتتلاشى أمامه كل الاحتمالات، مثل أن الظهور سيكون بعيداً بسبب القطع بأن المصداق الحقيقي للقائد الموعود هو المهدي محمد بن الحسن العسكري، وبهذا يأخذ الانتظار أبعاداً متعددة ليحمل الإنسان غير المعصوم مهمة التغيير مباشرةً، ويكون من الناحية النفسية والعقائدية والتعبوية على أهبة الاستعداد ويتوقع المفاجأة بظهور

إمامه، وفي هذه المرحلة من الانتظار قد زوّدت الأمة بمنظومة ثقافية ووصايا وإرشادات صدرت مرة عن النبي ومرة عن الأئمة المعصومين، تؤكد نوع العمل الذي يدخل كشرط للظهور، وهي مفردة من مفردات الانتظار الملقاة على عاتق المنتظر، وتحدّر أخرى من الانزلاق والانحراف وراء التيارات التي تبرز في تلك المرحلة وتشكل علامة للظهور.

ومن التكاليف التي تحملتها الأمة حال غيبته هوأن تتعبد بالانتظار والاستعداد ليوم ظهوره(عليه السلام) .

وفي الفقرات اللاحقة من البحث سنبين الموقف الانتظاري المطلوب ببعده العبادي.

ثالثاً: القاعدة العبادية لمفهوم الانتظار

يتكئ الانتظار على قاعدة مبدئية تمدّه بالقوة والاستمرار، فحين يعلم الإنسان المسلم بأن الله سبحانه لم يخلق الإنسان عبثاً وإنّما خلقه لغرض وهدف يتجسد بالعبادة ويتّسم بالتكامل، وأن هذا البعد العبادي الذي خلق الإنسان لأجله لم يتحقق حتى الآن، إذن فلابد من تحققه فيما بعد.

كما توجد آيات أُخرى تتحدث عن حتمية الظهور وقيام العدل الإلهي في ظل قيادة الإمام المهدي(عليه السلام).

فهذان محوران يجعلان حركة المسلم تتجه نحو هدف واضح غير متأثرة بالظروف، وتعطي للانتظار مفهوماً أعمق.

وإذا كانت المبادئ الإسلامية تترابط فيما بينها، وكلها تدخل في اطار التوحيد، فمبدأ الاستخلاف لا ينفصل عن هذه القاعدة، باعتبار أن الاستخلاف يستلزم الانقياد والتبعية لله سبحانه الذي يعتمد العبادة بالدرجة الأولى ويجعله طريقاً لاحباً للإنسان يربطه بخالقه ومنتهى آماله، ولهذا نجد الأنبياء(عليهم السلام) قد أكدوا مبدأ الاستخلاف من خلال الدعوة الى العبادة، إذ كثيراً ماقالوا : (**أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره**)[١٦].

فالأنبياء الذين مارسوا مهمة الخلافة في الأرض كانوا أعبد الناس، وكانت حركتهم تتركز على ربط حركة المجتمع السياسية والاجتماعية بمحور العبادة التي طالما رددها الأنبياء، من هنا كانت العبادة تستفز الطغاة لأنها في نظرهم تخالف مبادئهم الوضيعة، وقد تعرض الأنبياء في سبيل الدعوة الى هذا المبدأ الإلهي لشتى أنواع التعذيب والاضطهاد من قبل الطغاة.

ولو كانت العبادة تعني مجرد شعار لا تستهدف الحياة ولا مصالح الحكام لما واجهوها.

وعلى هذا الأساس فالعبادة تقوم بصهر حركة المجتمع وفق اتجاه واحد،

وتتحقق عن طريقها طموحات المجتمع وتتجه به نحو غايته الكبرى التي صرحت بها الآية الشريفة (**وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون**)[١٧] .

---

(١٦) المؤمنون: ٣٢ .

(١٧) الذاريات: ٥٦ .

فإذا كان الانقياد لله هو الأساس بحيث يكون عمل الفرد والجماعة على كافة الصُعد خاضعاً لموازين الأوامر والنواهي والقواعد والأحكام الإسلامية فهذا يؤدي بحركة الإنسان المنتظِر الى استمداد قوته من عنصر العبادة.

من هنا فقد اكتسب الانتظار قيمةً عباديةً لأنه سَعيٌ جاد لتحقيق العبادة بمعناها الأعم، فقد ورد في الحديث: «**وأفضل الأعمال انتظار الفرج**»[١٨] والعبادة بحد ذاتها عمل، فالانتظار يرتقي الى مستوى القمة من هذه الناحية

ليكون على رأس الأنشطة والأعمال، وله الأولوية في ذلك حيث

ينبغي الاهتمام به في مرحلة الغيبة الكبرى التي هي من مراحل التاريخ الإسلامي التي يبرز بها عمل المكلف، عن النبي(صلى الله عليه وآله): «**أن العبادة انتظار الفرج**»[١٩]. وعنه(صلى الله عليه وآله)**:** «**أفضل العبادة انتظار الفرج**»[٢٠].

وورد في الحديث: **انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله، فإن أحبّ الأعمال الى الله عزّ وجل انتظار الفرج ما دام عليه العبد المؤمن، والمنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله**[٢١].

فإذا اتّضح أن العبادة في عقيدتنا تكتسب هذه القيمة ولها هذا البعد، فمن اللازم علينا أن نتوخى المنهج الذي يضمن لنا أداء أدوارنا ومسؤولياتنا كمنتظرين وفق ما يؤسسه المنهج نفسه، كما يدعونا الأمر مرة أُخرى الى أن تتضح مواقفنا ومتبنياتنا فيما إذا كانت منسجمة مع الغرض والحكمة الإلهية التي تريد أن ينتصر الدين الإسلامي على أساسها، أم تتقاطع معها، مما يكتشف المسلم وهو في ظروف التحدي أنه في حركة مضادة تسعى بقوة لعرقلة المسيرة الإلهية، وأن قيمه التي اخترعها وتبناها جعلت منه يدور في حلقة مفرغة أومعاكسة للمسار الصحيح، هذا ما سوف نبيّنه في السطور اللاحقة من هذه المقالة.

---

(١٨) كشف الغمة ٢:٤٢٥ .

(١٩) كنز العمال ٢:٧٩ .

(٢٠) الجامع الصغير للسيوطي ١:١٩٢ .

(٢١) معجم أحاديث المهدي ١:١٧٠ .

رابعاً: انتظار الأمة ومسؤوليتها في مرحلة الغيبة

يصل بنا الحديث عن دور الأمة ومسؤوليتها حال غيبة الإمام(عليه السلام) بشكل عام ومسؤولية الأمة في مرحلة الغيبة الكبرى بشكل خاص حيث يختلف بطبيعة الحال عن مرحلة حضور الإمام، أي زمن الأئمة الأحد عشر.

من هنا سنقوم ببيان دور الأمة ومسؤولياتها حال غيبة الإمام الذي يعني بتعبير آخر «الانتظار».

الأمة حين تبحث عن مصدر أصيل يرشدها للعمل الصحيح والمنسجم مع ما تتطلبه مرحلة ما بعد النبي(صلى الله عليه وآله) لابد للأمة من مراجعة الرصيد الثقافي الذي يبيّن لها معالم الطريق، والمشكلة التي تقف أمام هذه الخطوة هي طبيعة الاختلاف في المرجع.

فلو أردنا معرفة من هو المنتظِر الصحيح، سواء من يتبنى منهج أهل البيت أو من يعتقد بمرجع اسلامي غيرهم، لابد لنا أن نرى مدى انسجام حاضر الفرقة مع مستقبل رسالتها، والرسالة نعني بها المبادئ المشتركة بين الجميع، وعدم تقاطعها مع أهداف الرسالة الإسلامية، فإذا وقّر لنا المنهج الذي تتبناه الفرقة، أي

فرقة، أن الحاضر القيمي الذي يميزها عن باق الفرق يكفل لنا تحقيق المستقبل ويحرك الأمة نحو قيمها، ويكون مستقبلها بمالايقبل الشك أفضل من حاضرها بل يجعلها تترصد ماهو ضعيف في الحاضر لتتخلص منه في المستقبل وهذا بالتأكيد هو ما تريده الرسالة الإسلامية ويبلور مفهوم الانتظار الذي ستتضح صورته في المنظور الإسلامي.

أما إذا اخفقت الفرقة هذه أو تلك ولم ترتق الى مستوى هذا التصوير فهذا يعني أن منهجيتها وطريقها لا ينسجم مع قيم الرسالة التي هي موضع اعتقاد الجميع، وبالتالي لا يقال عنها أنها أمة منتظرة تتحرك نحو نهاية تُحسم لصالح رسالتها، ونقصد بها الإسلامية، بل يمكن لنا أن نقول أنّها أمة تريد أن تكرر سلوكات وتجارب ضعيفة أو منحرفة أو فاشلة تتقاطع مع الرسالة وتعوق مسيرتها.

من هنا نجد أنفسنا أمام عدة اتجاهات إسلامية تتقاطع فيما بينها من الناحية العملية بعد فرض الاختلاف من الناحية النظرية لمفهوم الانتظار، كما تتأرجح الأخرى بين موقف الاهمال والميل للعمل التكراري والقطيعة مع مفهوم الانتظار المهم والحيوي في حياة

الإنسان، وتوجد متبنيات فكرية أخرى تدفعت بأصحابها لا بل أدى بها أن يكون عملها الانتظاري عملاً مقيتاً جامداً لا يساهم في التطوير والتجديد.

وأخيراً دفع البعض من الاتجاهات الفكرية التي نشأت ما بعد النبي أصحابها الى الموقف السلبي أو قل المعادي إزاء الإنتظار.

والنتيجة المشتركة التي يقع فيها الجميع هو الموقف اللامسؤول أمام قضية انتصار الدين وحتمية ظهوره على الأديان، الأمر الذي صرحت به الآيات والروايات، بالإضافة الى إيجاد أزمة مزمنة أدّت الى تخلف العالم الإسلامي وإرباك مناهجه الاصلاحية وعدم القدرة على النهوض والعجز عن استخلاص منهج تغييري يوحد طاقات الأمة ويعيد بناءها.

وفيما يلي نحاول أن نستعرض ثلاثة اتجاهات رئيسية لنرى من خلالها ماهو الاتجاه المنسجم من الناحية النظرية والتطبيقة مع أصل الرسالة ليكون هو الخط السليم الذي لا يشوبه الضعف، ويثبت من كونه هو الطريق الذي يؤدي الى الانتظار الإسلامي المطلوب.

الاتجاه الأوّل: مدرسة أهل الحديث

ترى مدرسة أهل الحديث أن الرجوع للسلف الصالح والاقتداء بسلوكياتهم وأفعالهم أمر يضمن لنا الحاضر، ثم يجعل الأمة على جادة الحق، وهذا ما يؤدي الى ضمان المستقبل أيضاً، وقد استدلوا لصحة هذا المنهج من كون النبي قد قال: «**خير القرون قرني ثم الذي يليه ثم الذي يليه**»[٢٢] وبهذا تكون الحقبة الزمنية ضمن قرونها الثلاثة هي الفترة التي ينبغي للأمة الإسلامية التي تأتي وتولد في هذه القرون أو بعدها أن تحذو حذو السلف الذي عاصر تلك الفترة الزمنية من حياة الأمة.

وقد تبنّى الخط الحنبلي هذه المسألة وخاض من أجلها معارك طاحنة وفتناً مدمّرة.

قال ابن الأثير: لقد حدثت فتن كثيرة سنة (٣١٧ هـ) منها وقعت فتنة عظيمة في بغداد بين أصحاب أبي بكر الرازي والمزودي الحنبلي وبين غيرهم من العامة ودخل كثير من الجند فيها.

وكان الحنابلة يقفون في الطرقات ويترصدون الشوافع وينكلون بهم ضرباً وتهجماً حتى صارت الكراهية التقليدية انّه إذا كتب فيما بعد أو تحدث الشافعية عن واحد من الحنابلة غمزهونال منه، ان لم يستطع بصريح العبارة فلا أقل من الكتابة والتحريض، وكذلك لو كتب واحد من الحنابلة على الشافعية وكتب التراجم مليئة بالأمثلة والشواهد[٢٣].

---

(٢٢) الأحكام للآمدي ١:٢٠٣، مع اختلاف يسير، تاريخ مدينة دمشق ٦٧:٣٧، الإصابة ١:٢١.
وقد جاء في الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٣:٧٩، «خير هذه الأمة القرن الذي أنا فيه...».

(٢٣) الكامل لابن الأثير ٨:٨٣ .

وأنتج لنا فكر أهل الحديث، أوقل الحنابلة ومن تبعهم، أبناء العامة وتمسك بها دعاة السلفية كأحمد بن تيمية ومقلده محمد بن عبدالوهاب فيما بعد، عدداً من المتبنيات المخالفة للأصول الإسلامية والتي منها عقيدة وجوب اطاعة السلطان الجائر .

قال أحمد بن حنبل في احدى رسائله: (السمع والطاعة للأئمة وأميرالمؤمنين البر والفاجر، ومن ولي الخلافة فأجمع الناس ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف وسمي أمير المؤمنين، والعزّ ماض مع الأمراء الى يوم القيامة البر والفاجر، وإقامة الحدود الى الأئمة وليس لأحد أن يطعن عليهم وينازعهم، ودفع الصدقات إليهم جائز، فمن دفعها إليهم أجزأت عنهم، براً كان أو فاجراً، وصلاة الجمعة خلفه وخلف كل من ولي، جائزة إقامته، ومن أعادها فهو مبتدع تارك للآثار مخالفة للسنّة.

ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وكان الناس قد اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأيوجه من الوجوه، أكان بالرضا أو بالغلبة فقد شق الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار عن رسول الله، فإن مات الخارج عليه، مات ميتة جاهلية[٢٤].

فهذا المنهج المدعو بالاصلاحي والذي شمل هذه المفردة وغيرها ممّا تبنّاه دُعاة التجديد من السلفية يؤاخذ عليه عدد من المؤاخذات ونذكّر وفقاً لصلاحيته في قيادة الأمة ومدى انسجامه مع مفهوم الانتظار فالمناقشة ستكون بهذه الحدود منها ـ أي المؤاخذات ـ :

أولاً: ان الرجوع لأخذ المعلومة طبيعي لأنّ المعلومة التي تحتاجها الفرقة أو المذهب لغرض تدارك المستحدثات من المسائل التي تواجهها بالوقت الذي ترى الفرقة أن سيرة السلف هي المقياس الذي يصحح الحاضر فهذا الرجوع يؤدي الى أخذ المتناقض والمتعارض أحياناً مع أصل الشريعة لأننا نعلم أن المتبنيات الفكرية قد اختلفت وكل منها يدعي على انّه الفرقة الناجية في ظرف لا يعرف من هو الموقف الصحيح الذي ينبغي الاقتداء به.

وبناءً على ماهو واقع تأريخياً من أن الصحابة وغيرهم من التابعين قد وقعت فيما بينهم اختلافات كثيرة كالحروب التي خاضها الإمام علي مع الناكثين والقاسطين والمارقين وقتل الإمام الحسين واباحة المدينة المنوّرة وجرائم الحجاج وبني مروان ثم ما فعله بنو العباس.

ثم إنّ الاختلاف في فهم الأحكام الذي يؤدي الى الاختلاف في ملاكات الشريعة والإساءة الى مقاصدها حيث تتعقد المسألة أكثر فأكثر.

ثانياً: الرجوع هنا يعني الرجوع للتاريخ الذي مورس في السابق لا الرجوع للقيم الثابتة بما يحمل هذا التطبيق الذي ينشده هذا الاتجاه من تناقضات تكون الشريعة في كثير من الأحيان تخالفه.

---

(٢٤) تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ٢:٣٢٢ .

ثالثاً: تبني وتقليد سلوكيات السلف أو الأمة التي جاءت بعد النبي يؤدي الى اعادة تلك الحقبة الزمنية وبتعبير آخر تكرار الفتن والاضطرابات التي حدثت بعد النبي(صلى الله عليه وآله) .

رابعاً: التعبد بالخط المتشنج الذي يرى له الفوقية على المذاهب الأخرى، والذي لا يمتلك التطلع للمستقبل وفق القيم الإلهية التي بشرت بها الرسالة الإسلامية لتكون هي الحاكمة على السلوك والتاريخ لأنه تبني تاريخي لا قيمي وهذا يعني أنها محاولة لإدارة ظهر الأمة نحو المستقبل وجعل افقها نحو الماضي.

خامساً: إن وجوب اطاعة الإمام الجائر والسكوت عنه وعدم الخروج عليه يؤدي الى إبقاء الفساد وتكراره في المستقبل وتقديمه للأجيال المقبلة بحاوية مقدسة ومغلفة بإطار الشريعة وهذه الفكرة تجعل الأمة بلا انتظار وايّما انتظار فاسد تصنعه الأمة بنفسها؟!

وهذا ما ينتج لنا أمة بلا انتظار لأن الانتظار يعني الاستعداد لخلق وصناعة المستقبل وفق القيم التي جاءت بها الرسالة.

سادساً: تكفير زعماء الصحوة الإسلامية فإذا كان الإسلام والقرآن يدعوان الى الوحدة وتجنب أسباب الاختلاف وتحجيمها إن وجدت، فإن هذا الاتجاه الذي اكتسح الساحة هذه الأيام يدعو الى التفرقة ونبذ الوحدة وتمزق جسد الإسلام الاجتماعي.

وقصة محمد الغزالي ليست ببعيدة عنّا فقد ألف هذا الرجل كتاباً بعنوان: (السنّة بين أهل الفقه والحديث) وقد تعرض فيه لعلاج أمّهات المسائل الفكرية التي تعصف بساحة الصحوة الإسلامية ومن بينها أسلوب دعوة السلفي، فما شعر الرجل إلاّ ودعاه البعض الى التسوية وتأليف كتاب جديد من الأفكار والآراء التي أوردها في هذا الكتاب فهو في تقييم السلفية مارق عن الدين ومخالف لرب العالمين.

كما كفر دعاة هذا الاتجاه زعيم حركة العدل والإحسان الإسلامية الشيخ عبدالسلام ياسين. لأنه قد تبنّى آراء صوفية.

أما الحديث عن عدائهم لاتباع مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) والحقد عليهم فلا يسعنا الخوض في تفاصيله ونكتفي بأنهم ينعتونهم بالزنادقة والمشركين والجهمية وغيرها من النعوت التي ما أنزل الله بها من سلطان (**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أفْواهِهِمْ إنْ يَقُولُونَ إلاَّ كَذِباً**)[٢٥].

الاتجاه الثاني

وهو الاتجاه الذي استجاب للظروف القاهرة التي مرت بها الأمة ولم يقوَ على التمسك بخطاب الشريعة الداعي الى مواجهة الظلم والانخراط مع خط التضحية والجهاد ممّا دعاه الى انتقاء النصوص التي تبرر له موقفه وتجعله في مأمن من خطاب الشريعة وخطر السلطان، وقد أدّى به موقفه التوفيقي هذا الى نحو موقفين:

---

(٢٥) الكهف: ٥ .

الأوّل: الموقف الذي تمسك بعدد من الطوائف الروائية كدليل لصحة موقفه السياسي أو النفسي وبهذا الصدد سوف نعرض لنماذج من تلك الروايات لنقوم بعد ذلك بمناقشتها لنثبت فيما إذا كانت تصلح كدليل شرعي يبرّر لهؤلاء موقفهم السلبي من الانتظار الذي أرداته الشريعة أم لا؟

الطائفة الأولى:

تحدثت روايات كثيرة تشير الى وجوب العزلة، عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنه قال: «**ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي. من تشرف لها تستشرفه. ومن وجد فيها ملجأ فليعُذ به**»(٢٦).

عن رسول الله(صلى الله عليه وآله): «**أنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتنة، القاعد فيها خير من الماشي فيها، والماشي فيها خير من الساعي إليها. ألا فإذا نزلت أو وقعت، فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه...**»(٢٧). الحديث، وذكر له سندين.

وكذلك وردت أخبار أخرى تؤكد الابتعاد عن الاندكاك والانخراط في ظواهر الحروب وضرورة عدم المشاركة فيها.

عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)قال: قلت: يا رسول الله، أفلا آخذ بسيفي فأضرب به من فعل ذلك؟ قال: «**شاركت القوم إذن! ولكن ادخل بيتك**. قلت :يا رسول الله، فإن دخل بيتي؟ قال: **إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فألق طرف ردائك على وجهك، فيبوء بإثمه وإثمك، فيكون من أصحاب النار**»(٢٨).

وعن رسول الله(صلى الله عليه وآله): «**فكسّروا قسيكم وقطعوا أوتاركم واضربوا بسيوفكم الحجارة. فإن دخل على أحدكم، فليكن كخير ابني آدم**»(٢٩).

وعن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أيضاً: قالوا فما تأمرنا؟ قال: «**كونوا أحلاس بيوتكم**»(٣٠).

وأخرج ابن ماجة(٣١) عنه(صلى الله عليه وآله) أنه قال: «**إنها ستكون فتنة وفرقة واختلاف، فإذا كان كذلك، فأت بسيفك أحداً فأضربه حتى ينقطع**». ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أومنية قاضية.

---

(٢٦) صحيح البخاري ٤:١٧٧، صحيح مسلم ٨:١٦٨.

(٢٧) صحيح مسلم ٨:١٦٩ .

(٢٨) سنن ابن ماجة ٢:١٣٠٨، ح ٣٩٥٨، سنن أبي داود ٢:٣٠٥، ح ٤٢٦٢.

(٢٩) مسند أحمد بن حنبل ٤:٤١٦، نيل الأوطار ٦:٧٦.

(٣٠) بحار الأنوار ٣١:٣٥٥، المستدرك للحاكم ٤:٤٤٠.

(٣١) سنن ابن ماجة ٢:١٣١٠، مسند أحمد بن حنبل ٣:٤٩٣، مع اختلاف يسير.

عن الإمام الباقر(عليه السلام) حين يسأله الراوي: فما أفضل ما يستعمله المؤمن في ذلك الزمان ـ يعني زمان الغيبة ـ قال: «**حفظ اللسان ولزوم البيت**».

وعن الإمام الباقر(عليه السلام) ـ في حديث ـ قال: «**وإذا كان ذلك، فكونوا أحلاس بيوتكم**»[٣٢].

وعن الإمام الصادق(عليه السلام) أنه قال: «**فإذا كان ذلك فالزموا أحلاس بيوتكم، حتى يظهر الطاهر بن الطاهر المطهر ذو الغيبة**»[٣٣].

نعم يكون الموقف الشرعي إزاء الجهاد في بعض الأحيان سلبياً وذلك حين يكون ترك العمل الإسلامي واجباً والمبادرة إليه حراماً من قبيل إذا كان الجهاد بدون إذن الإمام أو القائد الإسلامي أو رئيس الدولة الإسلامية.

وهكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يكون الموقف ازاءه سلبياً فيما إذا لم يكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محتمل التأثير وكان مستلزماً مع الضرر البليغ أو إلقاء النفس في التهلكة فإن هذا الأمر والنهي يكون محرماً، وحرمته مطابقة للقواعد العامة فإن معنى الاشتراط بعدم الضرر هو سقوط الوجوب معه فلا تكون هذه الفريضة الإسلامية لازمة والحال تلك، فإن الضرر إذا كان بليغاً به. كان المورد مندرجاً في حرمة إلقاء النفس في التهلكة أو حرمة التنكيل فيكون محرماً. وإذا حرم الأمر بالمعروف كانت العزلة والسلبية المقابلة له واجبة.

وهذا ما لا نريد الكلام فيه وإنّما الذي نريد بيانه هو توفر شروط الجهاد مع توفر شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلاّ أن موقف المسلم ازاءهما هو السلبية.

فيكون المراد بالإنعزال والإبتعاد عن المجتمع الذي تسوده الفتنة، فيشمل ما إذا اتصل الفرد به لأجل إصلاحه وتقويمه. ويكون ذلك منهياً عنه في هذه الروايات، خلافاً للحكم الشرعي الإسلامي وقواعده العامة.

الطائفة الثانية: الروايات التي توصي بالفرار من الفتن

عن النبي(صلى الله عليه وآله) قال: «**يأتي على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغنم يتبع بها شَعَفَ الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن**»[٣٤].

وعنه(صلى الله عليه وآله): «**تكون فتن، على أبوابها دعاة الى النار، فإن تموت وأنت عاض على جذع شجرة خير لك من أن تتبع واحداً منهم**»[٣٥].

---

(٣٢) كتاب الغيبة للنعماني: ١٩٤ .

(٣٣) الغيبة للطوسي: ١٦٣ .

(٣٤) صحيح البخاري ٤:١٧٧ و ٧:١٨٨، مسند أحمد ٣:٦ و ٣٠ .

(٣٥) كنز العمال للمتقي الهندي ١١:١٥١، ح ٣٠٩٩٤ .

وشعف الجبال رؤوسها، وجذع الشجرة أصلها. والمراد من العض عليه زيادة ملازمته والإلتصاق به.. وفيه دلالة على الخروج الى الأرياف والأطراف... يسكن الفرد البساتين ويجاور الأشجار أو قمم الجبال، لينجو من مجاورة الفتن واتباع دعاة الباطل.

وهذه الروايات، وإن كانت بسعة مدلولها، مخالفة للقواعد العامة التي عرفناها، إلا أنه بالإمكان تقييدها ، فتبقى خاصة بصورة وجوب العزلة والسلبية شرعاً... وأما مع حرمتها، يكون الواجب هو العمل الإسلامي الاجتماعي المنتج. وفي هذا القسم من الأخبار ما يؤيد هذا التقييد، حيث نجدها تحث على الجهاد الى جنب النصح بالفرار من الفتن.

بل تخص وجوب الفرار بالعاجز عن الجهاد، ويكون للجهاد الرتبة المقدمة على غيره، كما هو الصحيح في قواعد الإسلام العامة.

عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)، انه قال: «**خير معايش الناس لهم، رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله، ويطير على متنه، كلما سمع هيعة أو قزعة طار عليه إليها، يبتغي الموت أو القتل، مظانّه. ورجل في غنمية في رأس شعفة من هذه الشعاف; أو بطن واد من هذه الأودية، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربّه، حتى يأتيه اليقين. ليس من الناس إلاّ في خير**»[٣٦].

عن أبي سعيد الخدري: أن رجلاً أتى النبي(صلى الله عليه وآله) فقال: أي الناس أفضل؟ قال: «**رجل مجاهد في سبيل الله بنفسه وماله.** قال: ثم مَن؟ قال: **ثم امرئ في شِعب يعبد الله عزّ وجل، ويدع الناس من شره**»[٣٧].

إذن فالتكليف الإسلامي في عهد الفتن والانحراف، منقسم الى قسمين، لاثالث لهما. فإن المسلم الشاعر بالمسؤولية تجاه دينه إما أن يكون قادراً على الجهاد أو العمل المنتج لتقويم المعوج والكفكفة من التيارات الكافرة. وإما أن لا يكون قادراً على ذلك. فإن كان قادراً على العمل وجب عليه ذلك لا محالة. وإن كان عاجزاً عنه فخير له أن يعتزل الفتنة وأهلها. وأما معايشة المنحرفين مع الضعف في الإيمان والإرادة، فتؤدي الى ما لا تحمد عقباه في الدين والدنيا.. كما هو واضح ومُعاش للناس يومياً.

الطائفة الثالثة: الروايات التي توصي بلزوم الصبر على الظلم

عن ابن عباس عن النبي(صلى الله عليه وآله) قال: **من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبراً، فمات، إلا مات ميتة جاهلية**[٣٨]، وفي نسخة مسلم: **فميتة جاهلية.**

---

(٣٦) سنن ابن ماجة ٢:١٣١٦، ح ٣٩٧٨، السنن الكبرى للبيهقي ٩:١٥٩.

(٣٧) مسند أحمد ٣:٣٧ و ٨٨ باختلاف يسير، صحيح البخاري ٣:٢٠١، صحيح مسلم ٦:٣٩.

(٣٨) سبل الرشاد ابن حجر العسقلاني ٣:٢٦١.

عن رسول الله(صلى الله عليه وآله): **إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني**[٣٩] ـ وزاد مسلم: ـ **على الحوض.**

عن حذيفة بن اليمان في حديث له مع رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: «**يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنّون بسنتي. وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس.** قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: **تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك. فاسمع وأطع**»[٤٠].

إن الأمر بالصبر مع الحاكم المنحرف وتحمل ظلمه وتعسفه بالسكوت، غير مطابق للقاعدة الإسلامية، والأخبار الدالة عليه لا يمكن قبولها بحال، وذلك لأنها تعاني من الطعن في صدورها عن النبي(صلى الله عليه وآله) وفي دلالتها على المطلوب أيضاً.

أما الطعن في الصدور، فهو وضوح أن هذه الأحاديث تتم في مصلحة الحكام الذين تزعموا على الأمة الإسلامية بإسم الإسلام واستبزوا منها دماءها و خيراتها... فقد أرادوا بوضع هذه الأحاديث أن يأمروا المسلمين بالرضوخ لهم والصبر على جورهم، وينسبوا ذلك الى رسول الله(صلى الله عليه وآله) وهذه الطائفة سنناقشها تحت مقولة وجوب اطاعة أئمة الجور التي قال بها البعض.

الطائفة الرابعة: الروايات التي توحي بكف اللسان في الفتنة

عن الإمام الباقر(عليه السلام) حين سئل عن أفضل ما يستعمله المؤمن في ذلك الزمان ـ يعني زمان الغيبة ـ قال: «**حفظ اللسان ولزوم البيت**»[٤١].

عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: «**ستكون فتنة صماء بكماء عمياء**[٤٢]. **من أشرف لها استشرفت له. واشراف اللسان فيها كوقوع السيف**»[٤٣].

وعنه(صلى الله عليه وآله): «**تكون فتنة اللسان فيها أشد من السيف**»[٤٤].

وعنه(صلى الله عليه وآله) أيضاً: «**إياكم والفتن. فإن اللسان فيها مثل وقع السيف**».

الموقف الثاني:

---

(٣٩) مسند أحمد ٤:٣٥٢.

(٤٠) نيل الأوطار، الشوكاني ٧:٣٥٨، ٣١٨٤.

(٤١) كمال الدين للصدوق: ٣٣٠.

(٤٢) وصف الفتنة بهذه الأوصاف بأوصاف أصحابها، أي لا يسمع فيها الحق ولا ينطق به ولا يتضح الباطل عن الحق. هامش السنن.

(٤٣) سنن أبي داود: ٣٠٥ .

(٤٤) الترمذي ٣:٣٢٠.

وهو الموقف الذي اتّجه نحو أدلجة الأحاديث وصياغة نظرية عملية وسلوك على أساسها فنشأ الفقه الصوفي، وبهذا الصدد يحدثنا كتاب جامع الأُصول في الأولياء، بعد أن يبيّن شرعية العزلة وضرورة الابتعاد عن الناس، قائلاً:

(أن تكون الخلوة مظلمة لا يدخلها نور الشمس ولا ضوء النهار، فيسد على نفسه طرق الحواس الطاهرة، وسد طرقها شرط لفتح خواص القلب عند الأخيار) .

ويشير الى الشرط الثاني للعزلة قائلاً: (أن تعتقد في نفسك أنك تدخل الخلوة لكي يستريح الناس من شرّك بأن لا يتكلم مع أحد في الخلوة أو خارجها، إلاّ مع شيخه، وفي الضرورة، وأن لا ينام إلاّ عن غلبة. وإذا كان في خلوته لا يقتحمها لمجيء الناس للتبرّك أو الزيارة إليه فلينظر الى حال رسول الله في ابتداء أمره كيف كان يتحنّث في غار حراء بمكّة ولا يستصحب أحداً).

ويشير الى مدة الخلوة كم هي فيقول: أنا لا نعين مدة للخلوة حين وقت دخوله.

ودليلهم للعزلة قوله تعالى: (**وأعتزلكم وماتدعون من دون الله ـ الى قوله ـ وكلاً جعلنا نبياً**)[٤٥].

وقول النبي(صلى الله عليه وآله): «**أحب الناس الى الله تعالى الفرارون بدينهم، يبعثهم الله تعالى مع عيسى بن مريم يوم القيامة**»[٤٦].

وقوله(صلى الله عليه وآله): «**الدنيا ملعونة ومعلون ما فيها، إلاّ كلمة لا إله إلاّالله و ما إليها**»[٤٧].

وقوله(صلى الله عليه وآله): «**إنّ الله لم يخلق خلقاً أبغض من الدنيا، وأنه منذ خلقها لم ينظر إليها**»[٤٨].

وغيرها من الأحاديث التي ذكرناها في الطرف الأوّل.

وطرحوا للعزلة فوائد منها:

السلامة من الغيبة والرياء والنفاق والاشتغال بزينة الدنيا، والأمان من ملل الأصدقاء وشر الفاقة عن العدو الشامت والصديق المتوجع.

وأدى هذا التفكير بأصحابه أن ينتج أدباً صوفياً يعتز به الأتباع فقد نقلوا عن أبي الزيد الصوفي قوله: رأيت ربّي في المنام فقلت كيف أصل إليك. قال: فارق نفسك وتعال .

وهكذا نقلوا عن يحيى بن معاذ قوله: من كان أنسه بالخلق ذهب أنسه إذا فارقها، ومن كان أنسه بالله في الخلق استوت عنده الأماكن كلّها.

وقوله: وجدت خير الدنيا والآخرة في العزلة والخلوة، وشرها في الخلطة. وقوله: علامة الإفلاس الاستئناس بالناس.

---

(٤٥) مريم: ٤٨ و ٤٩.

(٤٦) كنز العمال ٣:١٥٣، ح ٥٩٣٠.

(٤٧) المجموع، النووي ١:١٩ .

(٤٨) الدر المنثور للسيوطي ٦:٣٤١ .

وقوله: الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئاً فيجيء في طلبه فيأخذك[٤٩].

وجاء في اعتقادهم أن من يذل نفسه ويظهر دناءته، فهو الأعلى أخلاقاً والأكثر تسامياً، ولا غرابة في هذا .

وقالوا: كي نُذل النفس أشدّ اذلال، يجب علينا أن نكسر أنفسنا ونذلها أمامها بكل استطاعتنا.

فهؤلاء كانوا يعتقدون ويعملون كي لا تكون للنفس أهمية عندهم، يقول «سعدي» الشاعر الإيراني المعروف:

أنا افتخر بأني نملة تداس تحت أقدام الناس، ولست نحلة يبكون من لسعتي.

ومقصود «سعدي» هو أن ايذاء الناس أمرٌ سيّء في نظر الإسلام. ولكن: هل الأمر دائر فقط بين كون المرء نملة أو نحلة حتى أقول أشكرك يا إلهي، فأنا لا أمتلك القوة والقدرة وبالتالي فأنا لا أظلم الناس؟ إن كون الإنسان فاقداً للقدرة وغير ظالم للناس ليس أمراً ذا شأن، بل الشأن كله هو أن يكون مقتدراً مستطيعاً لكنّه لا يؤذي أحداً ولا يظلم .

نقلوا عن إبراهيم بن أدهم وكان من مشايخ الصوفية أنه قال: سررت في أوقات ثلاثة سروراً أعظم من أي وقت آخر:

الأوّل: حين كنت في مسجد بيت المقدس وكنت آنذاك مريضاً جداً، ولم يكن برفقتي أحد، فنمت في زاوية المسجد. بعد قليل جاء خادم المسجد وأيقظ النائمين، ثم التفت اليّ وقال: هيّا استيقظ.. ولكني لم تكن لديّ القدرة على النهوض، فأمسك برجلي وجرّني الى الخارج. وقد فرحت بهذا كثيراً لأني صرت أمامه ذليلاً.

الثاني: كنت أنفش فروتي يوماً وأنظفها فوجدت قملاً كثيراً جداً بحيث اني لم أستطع أن أعرف هل أن صوف الفروة أكثر أم هذا القمل! وقد سرتني هذه الحالة أيضاً لأنها أشعرتني بدناءة نفسي وحقارتها.

الثالث: كنت يوماً راكباً زورقاً مع جماعة، وكان معنا رجل سيّء، كان يلهو ويمزح فتحلّق حوله الجماعة، وكان مما قاله: خرجت لحرب الكفّار ففعلت كذا وكذا، ثم أسرت أسيراً وجررته من لحيته، ثم تطلع حوله فلم يجد أحداً أضعف جانباً مني، فجاء إليّ وأخذ بشعر لحيتي ثم شرع يعيد تلك القصة ويقول: هكذا أخذت ذلك الأسير. أما أنا فقد سعدت جداً بهذا كعادتي لما أصابني من الذلة والانكسار...!

---

(٤٩) جامع الأولياء: ٢١٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩:٢٩٠.

ويؤاخذ على هذ الاتجاه بطرفيه، سواء الطرف الذي يتبنى توجيه الأحاديث لصالح موقفه، أو الاتجاه العملي الذي استجاب للظروف الطارئة وأسس بموجبها موقفاً عملياً تجسد في التيارات المتصوفة، بما يلي:

١ ـ إذا عرفنا أن مفهوم الانتظار هو الترقب المصحوب بالعمل الشرعي الذي يتخذ من العبادة قاعدة له، فهذا لا ينسجم مع الفكر الصوفي، لأن الصوفي لا ترقب له سوى سعيٌ ذاتي، وغايته أن يكون الصوفي ولياً من أولياء الله، وبالطريقة التي خطها لنفسه والتي تتصف بالحركة التجزيئية المنقطعة عن بعدها الاجتماعي الخارجي لأنها لا تستهدف تحريك الواقع الخارجي، فإذا كان هذا الصوفي يريد أن يحصل على الولاية بمفهوها الصوفي ولا شأن له بالمسؤوليات العامة التي ندبت إليها الشريعة لإزالة الظلم والاضطهاد الذي تتعرض له الإنسانية والسعي لإقامة حكم الله في الأرض. فالصوفي الآخر يفكر ويريد أن يكون بمستوى الولي المختار من قبل الله بالطريقة التي تحلو له أيضاً .

فبالنتيجة سنحصل على أمة بلا انتظار، لأنه لو فرضنا أن الأمة كلها قد التزمت طريقة التصوف ديناً، فماذا سنترقب وماذا سيحدث؟ من الطبيعي أن يحدث لنا أمة لا تشعر بالمسؤولية، وعاجز عن اتخاذ أي قرار جماهيري ازاء التحديات الخارجية. لأن الصوفي غير مسؤول عن إقامة العدل في البلاد، ولا مسؤول عن ردّ المخاطر التي تعصف فيه، وبهذا يكون السلوك والموقف الصوفي الاجتماعي موقفاً تمهيدياً من جهة الانتظار، أي يساهم في إيجاد الواقع الفاسد، لأن منهجه أنتج لنا أمة بلا مسؤولية، لا بل أمة تدعو الأمم الأخرى الى الطمع في خيراتها واستغلالها.

٢ ـ ولم يكن عند الصوفية سلوك موحد تتجسد بموجبه النظرية، لأن الظاهر في الفكر الصوفي تعدد السلوكيات لغياب الاقتداء في السلوك الذي ندبت إليه السنة الشريفة الذي يكفل لنا توحيد مظاهر الأمة كما أرادها الله سبحانه ضمن السنن الثابتة عن كل المذاهب، وهي من المشتركات، وبهذا يكون الترقب والانتظار من الناحية الجماهيرية مضطرب الهدف، أو قل مضطرب الصورة المستقبلية، فلا انتظار!

٣ ـ الإفراط في الأخلاق المقابل للتفريط فيها. وفي قبال هذا الفريق فريق لا يعرضون حاجاتهم على أحد مهما مسّت واشتدت، لكن الرسول(صلى الله عليه وآله)يقول: «**اطلبوا الحوائج بعزّة الأنفس**»(٥٠).

فلا مانع في أن يعرض الإنسان حوائجه على أصدقائه وأصحابه ما دامت كرامته مصونة وشخصيته محترمة. ومن خطبة لأمير المؤمنين(عليه السلام) بصفين قال:

---

(٥٠) نهج السعادة ٨:٢٧٦، كنز العمال ٦:٥١٨، ح ١٦٨٠٥ .

«**فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين**»[٥١]. فالحياة هي النصر والعزّة ولو تحت الثرى، والموت هو الذل والهوان، يقول الحق تعالى: (**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**)[٥٢] .

وقال الحسين(عليه السلام): «**ألا وإن الدعي ابن الدعي، قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية ونفوس أبيّة أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام**»[٥٣].

ومن أقواله أيضاً: «**والله لا أعطيهم بيدي اعطاء الذليل ولا أفرّ فرار العبيد**»[٥٤].

وعن الصادق(عليه السلام): «**ولا تكن فظاً غليظاً يكره الناس قُربك، ولا تكن واهناً يحقرك من عرفك**»[٥٥] أي: كن دمث الأخلاق ليّن الجانب طيب الوجه، لا متكبراً مصعراً خدّك للناس، لئلا يزهد الناس في قربك، ولكن في ذات الوقت عزيز النفس مرهوب الجانب .

الإتجاه الثالث

والكلام في هذا الاتجاه يتوزع على موقفين :

الموقف الأول: تثار شبهة تتلخص في كون اعتبار زمن الغيبة الكبرى للإمام المهدي فترة طارئة في حياة الأمة الإسلامية، والتصدي فيها للعمل السياسي غير صحيح، لأن الحكم والإدارة للأمة لا يتم إلاّ بقيادة المعصوم، وحيث أن المعصوم غائب، إذن فلا مبرر للقيام بالأعمال السياسية التي تستهدف قيام حكومة إسلامية في تلك الفترة، لأن الدولة فاقدة لشروطها ولا يمكن لنا إدامة أي عمل أو مشروع اجتماعي يسعى لإقامة الحكومة الإسلامية في حالة فقدانه المبرّرات الشرعية.

والذي يريد أن يثبت صحة ذلك، أي مشروعية تطبيق العدالة وإقامة الحكومة والإدارة الإسلامية، عليه توفير المستند الشرعي لذلك، وحيث لا مستند، فلا مشروعية إذاً لتلك الأعمال.

والجواب نعم إذا استطعنا أن نثبت بأن عصرنا الحاضر الذي هو حلقة من حلقات زمن الغيبة الكبرى للإمام المهدي(عليه السلام) ليس بدعاً من الأزمان، وحاله كحال أي زمان يكون فيه الإنسان مسؤولاً عن تطبيق الحدود وإقامة العدالة، فلا يبقى مجال للشبهة الواردة على

---

(٥١) نهج البلاغة رقم ٥١ .

(٥٢) آل عمران: ١٣٩ .

(٥٣) تحف العقول للحرّاني: ٢٤١، الاحتجاج ٢:٢٤ بتفاوت يسير.

(٥٤) أنساب الأشراف ٣:١٨٨ .

(٥٥) تحف العقول: ٣١٦ .

القيمة الشرعية لمشاريع التطبيق الاجتماعي الإسلامي زمن الغيبة، وأن المواقف السلبية أزاء المسؤولية الاجتماعية المطروحة في الفقه الإسلامي في هذه الفترة لا تمتلك فهماً مدروساً ومتبلوراً يمكننا رصده وتسجيله لمناقشة مبناه في كافة مواضع استدلالاته، وإنّما هي مجرد نزوع متمحور قد نشأ في أُفق الشبهة الواردة على رفع راية الجهاد والحاكمية الشرعية قبل الظهور، كما مرّ في مناقشة الروايات التي تدعو للصبر أو الجلوس أوغيرها .

وقد تجلى تمحور هذا النزوع بصورة موقف فكري لدى العقلية الفقهية المتأثرة عندهم بعدم الولاية العامة، أو عدم القول فيها لغير الإمام المعصوم(عليه السلام)، والموقف الثاني من الاتجاه الثالث

قد تمسّك بالمنظومة العبادية والعملية والسياسية التي خطتها الرسالة الإسلامية على يدي صاحبها الرسول(صلى الله عليه وآله)وأهل بيته، والتفاعل معها واعتبارها كمنهاج عمل وتغيير حيث نجدها ـ أي الإرشادات والتوصيات ـ تندرج ضمن الأدوار العملية المشتركة التي سجلها أئمة الهدى في حياة الأُمة والتي تكفل لنا مسبباً لايجاد يوم الظهور فيما لو كانت موضع اهتمام وتبني من قبل الأُمة وقادتها وإليك مفردات منها:

١ ـ الإيمان بحتمية خروج المهدي

ويأتي في مقدمة التكاليف الإسلامية التي تقع على عاتق الأُمة في عصر الغيبة، الإيمان بحتمية خروج المهدي وهذه المسألة موضع اتفاق الفريقين وكونه محمد بن الحسن العسكري من أولاد الحسين وعلي وفاطمة حيث يؤكد هذا التكليف قوله(صلى الله عليه وآله): «**من كذب بالمهدي فقد كفر**» أو «**من أنكر خروج المهدي فقد كفر بما أنزل على محمد**» [٥٦].

وعلى هذا الأساس فقد أفتى علماء المذاهب الإسلامية بوجوب الإيمان بالإمام المهدي(عليه السلام) وخروجه.

صرح الفقيه الشافعي ابن حجر بتواتر أحاديث خروج المهدي فقال: إن إنكار ذلك يعتبر من إنكار السنّة.

والمنكرون (للمهدي) كفّار ويجب قتلهم، وإن كان محل عناد لأئمة الإسلام لا للسنّة فهو يقتضي تعزيرهم البليغ وإهانتهم بما يراه الحكام لائقاً بعظيم جزعتهم.[٥٧]

وهكذا قال الفقيه الحنفي أحمد بن أبي السرور الصبا، إذ أفتى بكفر المنكرين.

كما صرح البيهقي بوجوب الإيمان بظهور المهدي، ومثله التفتازاني في شرح المقاصد.

---

(٥٦) الروض الآنف ٢:٤٣١، ومقدمة ابن خلدون ٢٣٤٧ و المختص لابن حجر: ٢، والحاوي للفتاوي للسيوطي ٢:٨٣ .

(٥٧) فرائد السمطين للحافظ الجويني الشافعي ٢:٣٣٤.

٢ ـ التمسك بالدين والدفاع عنه

وردت أخبار من قبل الفريقين تؤكد هذه المسؤولية في عصر الغيبة منها عن النبي أنّه قال: **أحب شيء الى الله تعالى الغرباء الذين يفرون بدينهم يجتمعون الى عيسى بن مريم**(٥٨).

وعنه(صلى الله عليه وآله): «**طوبى للغرباء** فقيل: من الغرباء يارسول الله؟

قال: **أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممّن يطيعهم**(٥٩).

وعنهانه قال(صلى الله عليه وآله): «**طوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنّتي**»(٦٠).

عن الإمام الباقر(عليه السلام) أنه قال: «**يأتي على الناس زمانٌ يغيب عنهم إمامهم، فياطوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان، إن أدنى ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم الباري جلّ جلاله فيقول: عبادي وإمائي آمنتم بسري وصدقتم بغيبي، فأبشروا بحسن الثواب مني، فأنتم عبادي وإمائي حقاً، منكم أتقبل وعنكم أعفو، ولكم أغفر وبكم أسقي عبادي الغيث وأدفع عنهم البلاء ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي.** قال جابر فقلت: يابن رسول الله فما أفضل ما يستعمله المؤمن في ذلك الزمان؟ قال: **حفظ اللسان ولزوم البيت**»(٦١).

وعن الإمام علي(عليه السلام) أنه قال ضمن حديث طويل عن مؤمني عصر الغيبة: «**طوبى لهم على صبرهم على دينهم في حال هدنتهم...**»(٦٢).

وعن النبي(صلى الله عليه وآله): «**فوالذي بعثني بالحق بشيراً ليغيبن القائم من ولدي بعهد معهود اليه مني، حتى يقول أكثر الناس ما لله في آل محمد حاجة، ويشك آخرون في ولادته، فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه ولا يجعل للشيطان فيه إليه سبيلاً بشكه، فيزيله عن ملتي ويخرجه من ديني فقد أخرج أبويكم من الجنة من قبل، وإن الله عزّ وجل ما جعل الشياطين أولياء للذين آمنوا**»(٦٣).

٣ ـ التفقه في الدين

كما وردت أخبار من طرق الفريقين تشير الى ضرورة التفقه في الدين في عصر ما بعد الرسول أو الغيبة أيضاً.

فعن النبي(صلى الله عليه وآله): «**ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، إلاّ من أحياه الله بالعلم**»(٦٤).

٤ ـ الرجوع للقرآن والعترة

---

(٥٨) تاريخ البخاري ٤:١٣٠، والزمخشري في ربيع الأبرار ١:٧٦٨، وجمع الجوامع للسيوطي ١:٢٣.

(٥٩) مسند أحمد ٢:١٧٧، مجمع الزوائد ٧:٣٧٨.

(٦٠) سنن الترمذي ٤:١٣٠، ح ٢٧٦٥، المعجم الكبير ١٧:١٦ .

(٦١) كمال الدين ٢:٣٣٠، بحار الأنوار ٥٢:١٤٥، منتخب الأثر للشيخ لطف الله الصافي: ٥١٣.

(٦٢) الكافي ١:٣٣٥، ووصف «الهدنة» يُطلق في الأحاديث الشريفة في عصر الغيبة.

(٦٣) كمال الدين ١:٥١، إثبات الهداة ٣:٤٥٩، بحار الأنوار ٥١:٦٨، منتخب الأثر: ٢٦٢.

(٦٤) سنن ابن ماجة ٢:١٣٠٥، والمعجم الكبير للطبراني ٨:٢٧٨، مسند الحافظ أبي بكر الروياني: ٢١٨، فردوس الديلمي ٢:٣١٨، جمع الجوامع ١:٥٤٥، كنز العمال ١١:١٢٥، فيض القدير ٤:١٠١.

ومن الأمور التي ينبغي الإلتزام بها في عصر الغيبة الكبرى من قبل المنتظرين هو الرجوع الى الثقلين.

عن معاذ بن جبل، عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنه قال ضمن حديث: «**خذوا العطاء مادام عطاءً، فإذا صار رشوةً على الدين فلا تأخذوه... ألا إن رحا الإسلام دائرة فدوروا مع الكتاب حيث دار، ألا إنّ الكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب...**»(٦٥).

وروي عن الإمام الباقر(عليه السلام) أنه قال ضمن حديث: «**وانظروا أمرنا وما جاءكم عنا، فإن وجدتموه في القرآن موافقاً فخذوا به، وإن لم تجدوه موافقاً فردوه، وإن اشتبه الأمر عليكم فقفوا عنده وردوه إليها حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا، فإذا كنتم كما أوصيناكم ولم تعدوا الى غيره، فمات منكم ميت قبل أن يخرج قائمنا كان شهيداً...**»(٦٦).

وواضح من نظائر هذه الأحاديث الشريفة المصرّحة بأن الحكم سينحرف عن القرآن ويفترق عنه وهذا الأمر جار في عصر الغيبة أو عصر ما قبل ظهور الإمام ـ عجل الله تعالى فرجه ـ ; أنها تؤكد أن المرجعية الأولى هي للقرآن الكريم وتأمر بالرجوع إليه لمعرفة الدين الحق وتمييز حتى المروي من الأحاديث الشريفة، أما المرجعية الثانية فهي العترة القادرة على توضيح الأمور المشتبهة مما ورثته من علوم النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) التي يفتح لها من كل باب ألف باب، وعليه يكون محصل هذا الواجب هو التمسك بولاية القرآن الكريم وولاية الإمام المتأهل لعدم الافتراق عن القرآن الكريم من أئمة العترة الطاهرة، ولا مصداق له في عصر ما قبل الظهور وبعد وفاة الإمام العسكري(عليه السلام)سوى المهدي المنتظر ـ عجل الله فرجه ـ ولذلك لاحظنا الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله)يأمر بالاجتهاد بنفي الشكوك بوجود الإمام المهدي في عصر غيبته ويعتبر هذه الشكوك سبيل الشيطان للاستحواذ على الناس، على أن وجود الإمام المهدي وغيبته ـ عجل الله تعالى فرجه ـ من الحقائق الشرعية والعقائدية التي بيّنتها الكثير من الأدلة القرآنية والحديثية والبراهين الكلامية والعقلية .

٥ ـ التمسّك بولاية الإمام المهدي(عليه السلام)

ومن الأمور التي ندبت الشريعة على التمسك بها في عصر الغيبة الكبرى الارتباط بولاية المهدي الغائب ـ عجّل الله تعالى فرجه ـ ولذا نجد وصايا الأئمة بمجملها تشير الى منظومة متكاملة من العبادات والسلوكيات تؤمن الارتباط بالإمام الغائب منها.

---

(٦٥) المعجم الصغير للطبراني ١:٢٦٤، حلية الأولياء لأبي نعيم ٥:١٦٥ ـ ١٦٦، تاريخ بغداد ٣:٣٩٨، أمالي الشجري ٢:٢٧٥، فردوس الديلمي ٢:٢١٧، مجمع الزوائد للهيثمي ٥:٢٢٧، كنز العمال ١:٢١٦.

(٦٦) أمالي الطوسي ١:٢٣٦ ـ ٢٣٧، أصول الكافي ٢:٢٢٢.

أ ـ العمل بالآداب الواردة عن المهدي(عليه السلام) وعن آبائه الطاهرين(عليهم السلام) وهي الآداب النبوية النقية، سواء المدوّنة في الكتب التي صنفها الثقات من رواة أحاديثهم(عليهم السلام) نظير ما جاء عن الإمام الصادق(عليه السلام) أنه قال: «**... إن من غاب عن الناس شخصه في حال هدنة لم يغب عنهم مبثوث علمه، فآدابه في قلوب المؤمنين مثبتة فهم بها عاملون**»[٦٧]، ونظير ما جاء عن أمير المؤمنين(عليه السلام) في خطبة عدم خلو الأرض من الإمام المعروفة، وضمن حديثه عن صفات أتباع الحجة في غيبته: «**... المتّبعون لقادة الدين الأئمة الهادين الذين يتأدبون بآدابهم وينهجون نهجهم، فعند ذلك يهجم بهم العلم على حقيقة الإيمان فتستجيب أرواحهم لقادة العلم ويستلينون من حديثهم ما استوعر على غيرهم، ويأنسون بما استوحش منه المكذبون وأباه المسرفون، أولئك أتباع العلماء صحبوا الدنيا بطاعة الله تبارك وتعالى وأوليائهِ...**».[٦٨]

والحقيقة المتقدّمة تتجلى بوضوح في الأمر الذي صدر عن الإمام المهدي(عليه السلام)في توقيعه المشهور الصادر الى إسحاق بن يعقوب بشأن الإرجاع الى «رواة حديثنا» وهذا الوصف ينفي بوضوح حالة «الاستقلالية عن النهج المهدوي» في الأشخاص الذين يجب الرجوع إليهم: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم»[٦٩]، فطاعتهم فيما استنبطوه من الأحاديث الشريفة طاعة له ـ عجل الله فرجه ـ .

أما أعداء الإمام المهدي(عليه السلام)، فهم أعداء نهجه المحمدي الأصيل .

٦ ـ تجديد البيعة والثبات على الطاعة

ومن مظاهر التمسك بإمامته(عليه السلام) تجديد البيعة له باستمرار كتعبير عن الثبات على طاعته للنجاة من الميتة الجاهلية، إذ إنّ الأحاديث الشريفة المروية في المصادر المعتبرة عند الفريقين حدّدت معرفة إمام الزمان وسيلة لهذه النجاة، وتحقق هذه الثمرة يستلزم أن تؤدي معرفته الى مبايعته كإمام مفترض الطاعة، فقد صرّحت جملة من الروايات مثل قوله(صلى الله عليه وآله): «**من مات ولا بيعة عليه مات ميتة جاهلية**»، وقوله(صلى الله عليه وآله): «**مَن مات بغير إمام مات ميتة جاهلية ومَن نزع يداً من طاعة جاء يوم القيامة لا حجة له**» وقوله(صلى الله عليه وآله): «**من مات ولا طاعة عليه مات ميتة جاهلية، ومَن خلعها بعد عقده إياها فلا حجة له**» وقوله(صلى الله عليه وآله): «**مَن مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية**».

---

(٦٧) إثبات الوصية: ٢٢٥.

(٦٨) الكافي ١:٣٣٥، ٣٣٩.

(٦٩) كمال الدين ٢: ٤٨٣، غيبة الطوسي: ١٧٦، إعلام الورى: ٤٢٣، خرائج الراوندي ٣: ١١١٣، الاحتجاج للطبرسي ٢: ٤٦٩، وغيرها.

عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال: «**قال رسول**(صلى الله عليه وآله)**: من مات وهو لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية**، ثم قال الإمام الصادق(عليه السلام): **فعليكم بالطاعة، قد رأيتم أصحاب علي، وأنتم تأتمون بما لا يعذر الناس بجهالته، لنا كرائم القرآن، ونحن أقوامٌ افترض الله طاعتنا...**»[٧٠]

وهذا الحكم بالطاعة التي يُعبّر عنها بتجديد البيعة، يشمل جميع الأئمة الاثني عشر سواءٌ الذين تسلموا الخلافة الظاهرية أو الذين أقصوا عنها، أي يشمل الإمام المهدي - عجل الله فرجه - فتجب مبايعته وطاعته كما يشير لذلك ما جاء عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)قال: «**مَن أنكر القائم من ولدي في زمان غيبته فمات، فقد مات ميتة جاهلية**»[٧١].

٧ ـ تجديد البيعة في دعاء العهد

وقد روى المحدثون أحاديث شريفة اشتملت على مجموعة من الأعمال العبادية المتضمنة لمضمون البيعة، مثل الأدعية المأمور بتلاوتها في عصر الغيبة، وكذلك نصوص الزيارات التي أمرت الأحاديث الشريفة بأن يُزار الإمام بها في غيبته(عليه السلام)، ومنها الدعاء المعروف بدعاء العهد عن الإمام الصادق(عليه السلام)[٧٢]، ووردت صيغة المبايعة صريحة فيه: «**اللهمّ إني أجدد له** [المهدي - عجل الله فرجه -] **في صبيحة يومي هذا وما عشت من أيامي عهداً وعقداً وبيعة له في عنقي لا أحول عنها ولا أزول أبداً، اللهم اجعلني من أنصاره وأعوانه والذابين عنه...**» والدعاء يشتمل على ترسيخ الاستعداد للقيام بجميع مسؤوليات البيعة من النصرة له والطاعة لأوامره والدفاع عن الرسالة المحمدية والأهداف الإلهية التي يحملها.

٨ ـ الثبات على ما عُرف من الحق

وقد أمرت بهذا الواجب الأحاديث الشريفة المروية من طرق أهل البيت(عليهم السلام)، لمعالجة الصعوبات الناشئة من فقدان العلم بالإمام(عليه السلام) أو فقدان القدرة على الاتصال به أو بأوليائه أو عدم قدرة هؤلاء على توضيح الأمور المشتبهة التي يعج بها عصر الغيبة أو عصر الفتنة أو عدم القدرة على الاتصال بهم لتوضيحها، وعندها يكون التكليف هو أن يتمسّك المؤمنون بما عرفوا يقيناً من الحق ويثبتوا عليه حتى يتبين لهم الأمر.

عن زرارة عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال: «**يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم**، قلت له: ما يصنع الناس في ذلك الزمان؟ قال: **يتمسكون بالأمر الذي عليه حتى يتبين لهم**»[٧٣] .

---

(٧٠) غيبة الطوسي: ١٥٣، ولاحظ تفسير العياشي ١: ٢٥٢، الكافي ١: ٣٧٦، و ٢: ٢١، غيبة النعماني: ١٢٩، رجال الكشي: ٤٢٤، كمال الدين ٢: ٤١٣، الاختصاص للشيخ المفيد: ٢٦٨، وغيرها كثير.

(٧١) كمال الدين ٢: ١٢، إثبات الهداة ٣: ٤٨٣، بحار الأنوار ٥١: ٧٣، منتخب الأثر: ٤٩٢ وغيرها.

(٧٢) مصباح الزائر: ٢٣٥، بحار الأنوار ١٠٢: ١١١.

(٧٣) كمال الدين ٢: ٣٥٠، إثبات الهداة ٣: ٤٧٤، بحار الأنوار ٥٢: ١٤٩.

عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال: «**يأتي على الناس زمانٌ يصيبهم فيه شيطة يأزر العلم فيها كما تأزر الحية في حجرها، فبينما هم كذلك إذ طلع لهم نجمهم.**قلت: فما الشيطة؟ قال: **الفترة**، قلت: كيف نصنع فيما بين ذلك؟ قال: **كونوا على ما أنتم عليه حتى يُطلع الله لكم نجمكم**»(٧٤).

٩ ـ التعرف على علامات الظهور

ويمكن الإستناد الى هذه الأحاديث الشريفة للقول بأنّ من تكاليف عصر الغيبة أو عصر ما قبل ظهور المهدي الموعود ـ عجل الله فرجه ـ معرفة علامات خروجه باعتبارها هي أيضاً مقدمة لكشف أدعياء المهدوية والنجاة من شباكهم، ومقدمة لمعرفته والقيام بواجب نصرته، وقد صرّح بذلك علماء الفريقين منهم ابن حجرالهيثمي الشافعي في مقدمة كتابه «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر» الذي لخص فيه ما ورد في الأحاديث الشريفة المروية عند أهل السنة من صفات المهدي(عليه السلام)وعلامات ظهوره، كما صرّح بذلك من علماء الإمامية، آية الله السيد محمد تقي الإصفهاني في كتابه «مكيال المكارم» وعقد فصلاً لذلك.

١٠ ـ اختبار أدعياء المهدوية

وإضافة الى ذلك أمرت بعض الأحاديث الشريفة بالاختبار المباشر لكل مدع للمهدوية وعدم الاستعجال في التصديق، معتبرة ذلك أحد واجبات عصر الغيبة، فمثلاً عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال: «**لصاحب هذا الأمر غيبتان: إحداهما يرجع منها الى أهله، والأخرى يُقال هلك في أي واد سلك**، قلت [الراوي]: كيف نصنع إذا كان كذلك؟ قال: **إذا ادعاها مدع فاسألوه عن أشياء يجيب مثله**»(٧٥)، أي اختباره بالأسئلة التي لا يمكن أن يجيب عنها إلاّ الإمام المعصوم والتحقق بذلك من إمامته.

١١ ـ الإكثار من الدعاء بتعجيل الفرج

أمرت الأحاديث الشريفة بالإكثار من الدعاء بتعجيل الفرج وظهور الإمام المنتظر ـ عجل الله فرجه ـ كأحد التكاليف المهمة لعصر غيبته أو عصر ما قبل ظهوره.

---

(٧٤) الغيبة للنعماني: ١٥٩ ـ ١٦٠، كمال الدين ٢: ٣٤٩، إثبات الهداة ٣: ٥٣٤، بحار الأنوار ٥٢: ١٣٤.

(٧٥) الكافي ١:٣٤٠ ح٢٠ عنه في معجم أحاديث الإمام المهدي ٣:٣٦٤ (والضمير في «مثله» عائد للإمام).

فمثلاً روى الصدوق والطبرسي عن الإمام المهدي - عجل الله فرجه - قال في توقيعه الصادر في أجوبة إسحاق بن يعقوب الذي أمر فيه بالرجوع الى «رواة أحاديثنا» كما تقدّم: **«.. وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإنّ في ذلك فرجكم»**(٧٦).

وروى الشيخ العياشي في تفسيره المعروف بسنده عن الإمام الصادق(عليه السلام)أنه قال ضمن حديث في الحثِ على التوجه الى الله لتعجيل الفرج: **«.. فلما طال على بني اسرائيل العذابُ ضجوا وبكوا الى الله أربعين صباحاً، فأوحى الله الى موسى وهارون يُخلصهم من فرعون... هكذا أنتم لو فعلتم لفرج الله عنا، فأما إذا لم تكونوا فإن الأمر ينتهي الى منتهاه»**(٧٧).

وكما هو واضحٌ فإنّ الأحاديث المتقدمة تصرحُ بأن في القيام بهذا التكليف يتحقق الفرج على الصعيدين الفردي والاجتماعي، ويعجّل في الظهور المهدوي كما جرى مع بني إسرائيل، وبدونه يستمر الابتلاء الى النهاية المحددة له، وتوضيح ذلك هو: أنّ في تقوية الارتباط بالله والتوجه إليه تعالى تمهيداً لظهور المصلح الأكبر - عجل الله فرجه - لأن من المعلوم - واستناداً لما بينته الأحاديث الشريفة - أن أحد علل غيبة الإمام هي إجراء سنة التمحيص التربوية وإعداد القواعد الإيمانية المناصرة له(عليه السلام) في مهمته الإصلاحية من خلال غربلتها - وعبر أجيالها المتعاقبة - بالأوضاع الصعبة والمحن والابتلاءات، والعامل الأساسي في هذه العملية التربوية هو اتضاح صدق التوجه لديها الى الله عز وجل وطلب النجاة منه في الغيبة، فروي عن الإمام الصادق(عليه السلام) قوله بشأنها: **«فتأويل الآية جاء في أهل زمان الغيبة... وإنما الأمد أمد الغيبة... وإن الله تعالى نهى الشيعة عن الشك في حجة الله تعالى أو يظنوا أن الله يخلي منها أرضه طرفة عين»**(٧٨).

١٢ ـ الانتظار الفوري وتكذيب الموقتين

أمرت الأحاديث الشريفة مسلمي عصر الغيبة باجتناب تحديد وقت لظهور الإمام - عجل الله فرجه -، وتكذيب من يحدد موعداً حتى لو نسب ذلك الى أحد أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، عن الإمام الصادق(عليه السلام)قال في جواب عن سؤال عن موعد خروج الإمام المنتظر -

---

(٧٦) سنن الترمذي ٥: ٥٦٥، المعجم الكبير للطبراني ١٠: ١٢٤، الكامل لابن عدي ٢: ٦٣٧، مسند الشهاب ١: ٦٢، تاريخ بغداد ٢: ١٥٤، أمالي الشجري ١: ٢٢٨، فردوس الديلمي ١: ٣٥٥، مصابيح البغوي ٢: ١٤٠، كشف الهيثمي ٤: ٣٨ عن البزاز، الجامع الصغير ١: ٤١٧.

(٧٧) تفسير العياشي ٢: ١٥٤، بحار الأنوار ٥٢: ١٣١ ـ ١٣٢.

(٧٨) غيبة النعماني ٦: ٢٤، المحجة فيما نزل في القائم الحجة للسيد المحدث البحراني: ٢١٩ ـ ٢٢٠.

عجل الله فرجه -: «**... إنا أهل بيت لا نوقت، وقد قال محمد**(صلى الله عليه وآله)**: كذب الوقاتون...**»[٧٩]، وروي أيضاً عنه(عليه السلام) قال: «**أبى الله إلاّ أن يُخلف وقت الموقتين...**»[٨٠] وعن الإمام الباقر(عليه السلام) عن مثل ذلك فقال: «**كذب الوقاتون، كذب الوقاتون، كذب الوقاتون، إن موسى**(عليه السلام) **لما خرج وافداً الى ربه واعدهم ثلاثين يوماً فلما زاده الله على الثلاثين عشراً، قال قومه: قد أخلفنا موسى، فصنعوا ما صنعوا. فإذا حدثناكم الحديث فجاء على ما حدثناكم فقولوا: صدق الله، وإذا حدثناكم الحديث فجاء على خلاف ما حدثناكم به فقولوا: صدق الله تُؤجروا مرتين**»[٨١].

ويشير حديث الإمام الباقر(عليه السلام) الى علة هذا النهي، فهي ترتبط بحكمة الله تبارك وتعالى في تربية عباده وقيادتهم الى ما فيه صلاحهم، ففي قصة موسى(عليه السلام)، كان صلاحه في تحديد المدة الزمانية الأولية بثلاثين ليلة ثم زيادة عشر أُخر عليها لاحقاً، وكان كليمُ الله(عليه السلام) يطيق تحمل هذا الأسلوب التربوي الخاص والحصول على ثماره دون أن يؤثر سلبياً على إيمانه وحسن ظنه بربّه عزّ وجلّ، ولكن الأمر يختلف مع الآخرين ممن هم دونه في مراتب الإيمان، فكان إخبارهم بالموعد الأولي ثم زيادة عشر ليال أُخريات سبباً لوقوعهم في شباك إساءة الظن بالله تبارك وتعالى ثم السقوط في جملة من الممارسات الوثنية التي حكاها لنا القرآن الكريم.

وفي ضوء هذه التجربة، نفهم أن تحديد وقت معين لظهور الإمام المنتظر ـ عجل الله فرجه ـ يغلق أبواب تغييره لمصالح معينة ترتبط بالعباد وتربيتهم كأن يقدمه لانقطاع العباد الى الله أو يؤخره لتهاونهم في العمل التمهيدي للظهور، لأن التغيير يستتبع آثاراً سلبية نظير ما جرى مع قوم موسى(عليه السلام) وإن كانت له آثار إيجابية ومصالح مهمة تتحقق لبعض المؤمنين. أي أن صلاح العباد اقتضى عدم التوقيت.

كما أن صلاح العباد اقتضى ذلك من جهات أُخرى، مثل عدم قدرة بعضهم على حفظه وكتمانه عن الأعداء وهذا ما يفقد الثورة المهدوية الكبرى عنصر المباغتة المهم في تحقيق الانتصار، ويُعطي الأعداء فرصة الاستعداد، الأمر الذي يزيد من الخسائر رغم الإيمان بحتمية انتصارها. والى هذا المعنى يشير الإمام الصادق(عليه السلام)في حديث رواه ابن شعبة الحراني في كتاب تحف العقول جاء في جانب منه: «**... يابن النعمان، إن العالم لا يقدر أن يخبرك بكل ما يعلم... فلا تعجلوا، فوالله لقد قرب هذا الأمر ثلاث مرات فأذعتموه، فأخّره الله، والله مالكم سرٌ إلاّ وعدوكم أعلم به منكم...**»[٨٢].

---

(٧٩) أُصول الكافي ١:٣٦٨ ح٣ بتفاوت يسير، الأنوار البهية للشيخ عباس القمي: ٣٦٧.

(٨٠) أُصول الكافي ١:٣٦٨ ح٤، كتاب الغيبة للنعماني: ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٤.

(٨١) أُصول الكافي ١:٣٦٩، ح ٥، بحار الأنوار ٤:١٣٢.

(٨٢) تحف العقول: ٣١٠، بحار الأنوار ٧٨: ٢٨٩.

١٣ ـ فائدة الاستتار في مرحلة الانتظار

قال السيد المرتضى: إنّ أولياء إمام الزمان(عليه السلام) وشيعته ومعتقدي إمامته ينتفعون به في حال غَيبته[٨٣] . النفع الذي نقول إنّه لابُدّ ـ في التكاليف ـ منه; لأنّهم مع علمهم بوجوده بينهم، وقطعهم على وجوب طاعته عليهم، ولزومها لهم، لابدّ من أن يهابوه ويخافوه في ارتكاب القبائح، ويخشوا تأديبه وانتقامه ومؤاخذته وسطوته، فيكثر منهم فعل الواجب، ويقلّ ارتكاب القبيح، أو يكون ذلك أقرب وأليق، وهذه هي جهة الحاجة العقلية إلى الإمام.

وكأنّي بمن سمع هذا من المخالفين ربّما عجب، وقال: أي سطوة لغائب مستتر خائف مذعور؟!

وأي انتقام يُخشى ممّن لا يد له باسطة، ولا أمر نافذ، ولا سلطان قاهر؟!

وكيف يُرهب مَن لا يُعرف ولا يميّز ولا يُدرى مكانه؟!

والجواب عن هذا: أنّ التعجّب بغير حجّة تظهر، وبيّنة تذكر هو الذي يجب العجب منه، وقد علمنا أنّ أولياء الإمام وإن لم يعرفوا شخصه ويميّزوه بعينه، فإنّهم يحقّقون وجوده، ويتيقّنون أنّه معهم بينهم، ولا يشكّون في ذلك ولا يرتابون به .

لأنّهم إن لم يكونوا على هذه الصفة لحقوا بالأعداء، وخرجوا عن منزلة الأولياء، وما فيهم إلاّ مَن يعتقد أنّ الإمام بحيث لا تخفى عليه أخباره، ولا تغيب عنه سرائره، فضلاً عن ظواهره، وأنّه يجوز أن يعرف ما يقع منهم من قبيح وحسن، فلا يأمنون إن يقدِموا على القبائح فيؤدّبهم عليها.

ومَن الذي يمتنع منهم ـ أن ظهر له الإمام، وأظهر له معجزةً يعلم بها أنّه إمام الزمان، وأراد تقويمه وتأديبه وإقامة حدٍّ عليه ـ أن يبذل ذلك من نفسه ويستسلم لما يفعله إمامه به، وهو يعتقد إمامته وفرض طاعته؟!

وهل حاله مع شيعته غائباً إلاّ كحاله ظاهراً فيما ذكرناه خاصّة، وفي وجوب طاعته، والتحرّز من معصيته، والتزام مراقبته، وتجنّب مخالفته.

وليس الحذر من السطوة والإشفاق من النقمة بموقوفَيْن على معرفة العين، وتمييز الشخص، والقطع على مكانه بعينه، فإنّ كثيراً من رعيّة الإمام الظاهر لا يعرفون عينه ولا يميّزون شخصه، وفي كثير من الأحوال لا يعرفون مكان حلوله، وهم خائفون متى فعلوا

---

(٨٣) في «م»: الغَيبة.

قبيحاً أن يؤدّبهم ويقوّمهم، وينتفعون بهذه الرهبة حتى يكفّوا عن كثير من القبائح، أو يكونوا أقرب الى الانكفاف[٨٤].

(٨٤) المقنع في الغيبة للشريف المرتضى: ٧٥ و ٧٦، تحقيق محمد علي الحكيم، نشر وطبع مؤسسة آل البيت(عليهم السلام) .

الفهرس

المقدمة ...٩
أولاً: استمرارية الانتظار تلازم استمرارية الرسالة ...١٢
ثانياً: المراحل التاريخية لمفهوم الانتظار...١٩
ثالثاً: القاعدة العبادية لمفهوم الانتظار ...٢٦
رابعاً: انتظار الأمة ومسؤوليتها في مرحلة الغيبة ...٣٠
الاتجاه الأوّل: مدرسة أهل الحديث...٣٢
الاتجاه الثاني ...٣٨
الطائفة الأولى: ...٣٨
الطائفة الثانية: الروايات التي توصي بالفرار من الفتن ...٤١
الطائفة الثالثة: الروايات التي توصي بلزوم الصبر على الظلم ...٤٤
الطائفة الرابعة: الروايات التي توحي بكف اللسان في الفتنة ...٤٥
الموقف الثاني: ...٤٦
الإتجاه الثالث ...٥٣
١ ـ الإيمان بحتمية خروج المهدي ...٥٥
٢ ـ التمسك بالدين والدفاع عنه ...٥٦
٣ ـ التفقه في الدين ...٥٨
٤ ـ الرجوع للقرآن والعترة ...٥٨
٥ ـ التمسّك بولاية الإمام المهدي(عليه السلام) ...٦٠
٦ ـ تجديد البيعة والثبات على الطاعة ...٦٢
٧ ـ تجديد البيعة في دعاء العهد ...٦٣
٨ ـ الثبات على ما عُرف من الحق...٦٤
٩ ـ التعرف على علامات الظهور ...٦٥
١٠ ـ اختبار أدعياء المهدوية...٦٥
١١ ـ الإكثار من الدعاء بتعجيل الفرج ...٦٦
١٢ ـ الانتظار الفوري وتكذيب الموقتين ...٦٨

١٣ ـ فائدة الاستتار في مرحلة الانتظار ...٧٠
الفهرس ...٧٣